الحال بعد الحرب

لا شبهة ان نفقات هذه الحرب فاقت كل نفقات الحروب قبلها . ويرى كثيرون من الباحثين ان ممالك اوربا التي اشتركت فيها لا تسترد ما خسرتهُ الاَّ بعد السنين الطوال . اما نحن فلا نرى ذلك لان الاموال التي انفقتها الدول المتحاربة استدانت اكثرها من شعبها ثم ردّت اليهِ اكثر ما استدانتهُ منهُ . ولان الناس اضطروا الآن الى الاقتصاد في نفقاتهم فاقتصدوا منها ما يساوي جانباً كبيراً من النفقات الحربية

وقد طرق المستر اليس باركر الكاتب الانكليزي المشهور هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فتوسَّع فيهِ وبيَّن بالادلة الكثيرة ان البلاد الانكليزية ستنهض من عثرتها وتسترد ثروتها وترّوج صناعتها وتجارتها بعد الحرب رواجاً يسلي الناس ما خسروهُ فيها . ومما قالهُ في هذا الصدد ان المانيا انفقت في تسعة اشهر على حربها الماضية مع فرنسا ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان ترعة بناما وهي اكبر الاعمال الهندسية التي عُملت في الدنيا انفقت عليها الحكومة الاميركية ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان حرب البوير التي دامت ثلاث سنوات انفقت فيها انكلترا[1] ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الحرب الحاضرة فتنفق فيها انكلترا كل شهرين مقدار ما انفقتهُ في حرب البوير مدة ثلاث سنوات

وقد بلغت نفقات انكلترا في هذه الحرب حتى الآن نحو ٤٣٠٠ مليون جنيه واذا دامت الحرب سنتين اخريين فلا يبعد ان تستنزف ثلث ثروة البلاد الانكليزية لانها تقدَّر بنحو ١٢٠٠٠ مليون جنيه . وقد كانت النفقات السنوية للحكومة الانكليزية قبل الحرب ٢٠٠ مليون جنيه فلا يبعد ان تصير بعدها ٤٠٠ مليون جنيه لما يقتضيهِ ربا الدين الجديد ومعاشات الذين اصابتهم العاهات في الحرب والذين قتل ذووهم فيها فهل تستطيع الامَّة الانكليزية تحمُّل هذه النفقات كلها واحتمال اعباء هذه الديون

منذ مئة سنة وضعت الحرب اوزارها بين انكلترا وفرنسا (حرب نبوليون) بعد ما انفقت فيها انكلترا ١١٠٠ مليون جنيه . نعم ان الديون التي استدانتها في تلك الحرب لم تبلغ سوى ٦٠٠ مليون جنيه ولكن الحكومة زادت الضرائب في غضونها نحو ٥٠ مليون

(١) يراد بانكلترا في كل ما يلي البلاد الانكليزية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ويراد باميركا والحكومة الاميركية الولايات المتحدة الاميركية وحكومتها

جنيه فقد كانت الضرائب السنوية في اول الحرب سنة ١٧٩٢ نحو ١٩ مليون جنيه فصارت في آخرها سنة ١٨١٩ نحو ٦٢ مليون جنيه ولو جرت زيادة الضرائب مجراها الطبيعي حسب زيادة عدد السكان لبلغت ٣١ مليون جنيه فقط ولبلغ مجموعها كلها في تلك السنين ٦٠٠ مليون جنيه لكنهُ بلغ نحو ١١٠٠ مليون جنيه فالزيادة وهي ٥٠٠ مليون ضمَّت الى الديون لاجل نفقات الحرب ولذلك فنفقات تلك الحرب التي انفقتها انكلترا بلغت ١٠٠٠ مليون

وكانت ثروة انكلترا سنة ١٨١٤ تقدَّر بنحو ٢٧٣٧ مليون جنيه فالنفقات الحربية كانت بين ثلث ثروة البلاد ونصفها ومع ذلك حملتها البلاد ولم ترزح تحتها فلا عجب اذا حملت الآن نفقات تعادل ثلث ثروتها او اكثر

ثم انهُ لما كانت الحرب مع نبوليون زيدت الضرائب في البلاد الانكليزية اربعة اضعاف في عشرين سنة اما الآن فلم تزد الاَّ خمسين في المئة اي ثمن ما زادتهُ حينئذٍ وتظهر زيادة الضرائب حينئذٍ من النظر الى الجدول التالي

	سنة ١٧٩٢	سنة ١٨١٩
الاموال المقرَّرة	٣ ٨٣٧ ٠٠٠ جنيه	٢٥ ٤٣٨ ٢٥٠ طناً
ضرائب الاطعمة والاشربة والتبغ	٩ ٠٣٥ ٧٨٣ «	٢٩ ٤٠٦ ٤٩٤ «
عوائد الجارك والمواد الاصلية	١ ٤٦٧ ٠٠٠ «	٠٦ ٠٦٢ ٣١٤ «
عوائد المصنوعات	١ ٦٥٦ ٠٠٠ «	٠٤ ٠٨٠ ٧٢١ «
التمغة	٠ ٢٥٢ ٠٠٠ «	٠٢ ٧٤٣ ٠٠٠ «

وواضح من ذلك ان الضرائب بلغت بعد الحرب مع نبوليون ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبلها فاحتملها الانكليز مع انهم لم يكونوا في سعة نقابل بسعتهم الحاضرة ولا بدَّ من ان كثيرين شكوا منها حينئذٍ بحق او بغير حق كما سيشكو كثيرون الآن ولكن البلاد نجحت بعد تلك الحروب نجاحاً لا مثيل لهُ رغماً عما قدَّرهُ كثيرون من عظماء الرجال مثل فردوك انكير ونبولد في الاول وغيرهما وما ذلك الاَّ لان الضرائب الثقيلة التي القيت على عواتق الناس دفعتهم الى السعي والجد والتدبير والاقتصاد . ومتى عكف الناس على اعمالهم واقتصدوا في نفقاتهم زاد دخلهم وقلَّ انغماسهم في الملاهي والملاذ فزادت واليدم . وهذا يفسر ما قالهُ الاقتصادي الشهير ادم سمث وهو ان الرجال يكثرون حينما تدعو الحاجة الى كثرتهم . فان عدد الانكليز كان ١٠ ٩٤٢ ٦٤٦ سنة ١٨٠١ فبلغ ١٨ ٧٢٠ ٣٩٤ سنة ١٨٤١ اي كاد يتضاعف في اربعين سنة . وكادت غلة ارضهم تتضاعف

في هذه المدة فقد كان مجموع ايجارها ٢٢ مليون جنيه ونصف مليون سنة ١٨٠٠ فبلغ ٤٠ مليون جنيه سنة ١٨٤٣ وزاد سكان المدن الصناعية زيادة كبيرة جداً كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٨٠١	سنة ١٨٤١
سكان منشستر	٩٤٨٧٦	٣١١٠٠٩
« لفربول	٨٢٢٩٥	٢٨٦٤٨٧
« برمنجهام	٧٠٦٧٠	١٨٢٩٢٢
« ليدس	٥٣١٦٢	١٥٢٠٧٤
« شفيلد	٤٥٧٥٥	١١١٠٩١

وقس على ذلك سائر المدن الصناعية فان سكانها كلها زادت نحو ثلاثة اضعاف في اربعين سنة . اما المصنوعات فزادت اكثر من ذلك كثيراً كما ترى في الجدول التالي وفيه ما ورد الى البلاد الانكليزية من القطن والصوف لكي يغزلا وينسجا فيها وقد اكتفينا بالملايين

السنة	الوارد من القطن	الوارد من الحرير	الوارد من الصوف
١٨٠١	٥٤٠٠٠٠٠٠ ليبرة	١٠٠٠٠٠٠ ليبرة	٧٠٠٠٠٠٠ ليبرة
١٨٤٥	٧٢١٠٠٠٠٠٠ «	٦٠٠٠٠٠٠ «	٧٧٠٠٠٠٠٠ «

فالقطن الخام زاد اكثر من ثلاثة عشر ضعفاً والحرير زاد ستة اضعاف والصوف احد عشر ضعفاً . وكذلك تزاد ما استخرج من الحديد سبعة اضعاف فانه كان ٢٥٤ الف طن سنة ١٨٠٦ فبلغ ١٧٠٠٠٠٠ طن سنة ١٨٤٥

ومعلوم ان الفحم الحجري قوام الصناعة وقد بلغ المستخرج منه في البلاد الانكليزية سنة ١٨٤٥ اكثر من ٣١ مليون طن والمستخرج من بلجكا وفرنسا وروسيا والنمسا والولايات المتحدة الاميركية اقل من ١٨ مليون طن اي ان البلاد الانكليز كانت تستخرج نحو ثلثي الفحم الحجري المستخرج من الدنيا . وكانت تستخرج ايضاً ثلثي الحديد المستخرج من الدنيا . ومن ثم صارت انكلترا المعمل الكبير لصناعات المسكونة فنقضت ما تكمَّن به فردرك الكبير ونبوليون الاول اللذين قدَّرا انها ستزرح تحت اثقال ديونها الوطنية وضرائبها الفادحة وما ذلك الاَّ لأن الحاجة تفتق الحيلة ولان الانسان كسول بالطبع ولا يجدُّ

ويجتهد الاّ مضطرًّا فالضرائب الثقيلة تفتّ الكسل من محيي الكسل والبطالة وحملتهم على الجد والاجتهاد

اذا رأى الانسان انهُ تطلب منهُ اموال كثيرة فاول شيء يعملهُ انهُ يقتصد في نفقاته ويحرم نفسهُ من كثير من ملذاتها ثم يجتهد ليزيد دخلهُ بالعمل والاختراع والاستنباط. ولقد نبغ المخترعون في انكلترا في ذلك العصر عصر الشدّة والسعي مثل وط وبولتن وترفثك ومودسلي ولسمث وستفنصن وهرغريفس واركريت وكارترايت وسميتون وبربستلي ودلتن وفراداي ودافي ووددجود وكثيرين امثالهم

وكان الانكليز في النصف الاخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر اعلى امم الارض همّةً واقدامًا فاخترعوا اهم المخترعات الصناعية الحديثة وسبقوا غيرهم الى استعمال المخترعات التي اخترعتها الامم الاخرى. ثم تغيرت الحال بعد ذلك فصار الالمان والاميركيون يتناولون المخترعات الانكليزية ويعملون بها والانكليز يهملون امرها. فاستخراج الاصباغ من قطران الفحم اكتشفهُ عالم انكليزي ولكن الالمان استعملوهُ حتى كاد استخراج هذه الاصباغ ينحصر فيهم. والانوال الآلية استنبطها رجل انكليزي ولكن هذه الانوال قليلة الآن في انكلترا وكثيرة جدًّا في اميركا. وزاد التراخي في امر الصناعة الانكليزية في الخمسين سنة الاخيرة والسبب الاكبر لذلك غنى البلاد واستغناء اهلها عن الكد والكدح وميلهم الى الراحة بعد التعب. والمرجح انهُ اذا زادت الضرائب على الشعب الانكليزي حتى اضطرّ ان يعود الى سابق اجتهاده فلا يحتاج ان يخترع مخترعات جديدة بل حسبهُ ان يجري في اعماله على الاساليب الاميركية

والبلاد الانكليزية اصلح بلدان العمور لتوسيع نطاق الصناعة لغزارة مناجم الفحم فيها وقربها من البحر فتستطيع ان تنقل مصنوعاتها الى سفنها باقل ما يكون من النفقة وزد على ذلك ان مستعمراتها اوسع من مستعمرات سائر الدول فتجلب منها كل ما تحتاج اليهِ الصناعة من المواد الاصلية

وقابل الكاتب بعد ذلك بين اكثر الصناعات الانكليزية والاميركية اظهارًا للفرق بينهما في مقدار الاعتماد على الآلات البخارية. ونشر جدولاً كبيراً ذكر فيهِ عدد العمّال في كل صناعة وقوة ما يستعملونهُ من الآلات البخارية وقيمة ما يعملهُ الواحد منهم في السنة. وقد اخترنا منهُ المصنوعات الآتية

		قيمة ما يصنعهُ العامل في السنة	قوة الآلات البخارية لكل الف عامل
الاحذية	في انكلترا	٠٠٧٠١ جنيهاً	٠٠١٧٢ حصاناً
	في اميركا	٠٥١٦ «	٠٠٤٨٦ «
السمنت	في انكلترا	٠١٩٢ «	٠٣١٩٥ «
	في اميركا	٠٤٧٢ «	١٣٨٧٣ «
الثياب	في انكلترا	٠١٥٨ «	٠٠٠٤٥ «
	في اميركا	٠٤٨٤ «	٠٠١٦٥ «
المنسوجات القطنية	في انكلترا	٠٢٣٦ «	٠٢٢١٤ «
	في اميركا	٣٣٢ «	٠٣ ٢٣ «
الساعات	في انكلترا	٠١٣٧ «	٠٠١٢٥ «
	في اميركا	٠٢٩٦ «	٠٠٦٢٨ «
السكاكين ونحوها	في انكلترا	٠١٦٤ «	٠٠٤٢٠ «
	في اميركا	٠٣٢٣ «	٠٢٠٦٩ «
الاسلحة	في انكلترا	٠١٢٥ «	٠٠٥٩٥ «
	في اميركا	٠٤٦٤ «	٠١٢١٤ «
دبغ الجلود	في انكلترا	٠٦٨٦ «	٠٠٨٤٧ «
	في اميركا	١٠٥٤ «	٠٢٣٨٩ «
الاصباغ	في انكلترا	٠٨٦٣ «	٠١٣٧٥ «
	في اميركا	١٧٥٤ «	٠٤٠١٢ «
الورق	في انكلترا	٠٣٣٠ «	٠٤٢٠١ «
	في اميركا	٠٧٠٥ «	١٥٨٤٦ «

ولم يكن الامر كذلك في سالف الزمن لما كانت السيادة الانكليزية في الصناعة فقد كان الصانع منهم يعمل في يومهِ اكثر مما يعملهُ الصانع في كل بلاد اخرى . ولم يقتصر ذلك على

الصناعة بل تناول الزراعة والتعدين ثم تغيرت الحال فصار الانكليز في بلادهم اكثر منهم في غيرها فقد كان المتوسط السنوي لما يستخرجهُ العامل من الفحم الحجري بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ في انكلترا ٣١٢ طنًّا وفي الولايات المتحدة ٤٠٠ طن وفي استراليا ٣٣٣ طنًّا وفي زيلندا الجديدة ٣٥٩ وفي كندا ٣٤١ فنقص المستخرج في انكلترا رويداً رويداً وزاد في غيرها رويداً رويداً حتى صار في انكلترا ٢٤٤ طنًّا وفي اميركا ٦٦٠ طنًّا وفي استراليا ٥٤٢ طنًّا وفي زيلندا الجديدة ٥٠٣ اطنان وفي كندا ٤٧٢ طنًّا

ولذلك زادت نفقات استخراج الفحم في انكلترا فبعد ان كانت نفقة استخراج الطن ٢٤ غرشاً سنة ١٨٨٦ صارت ٤٥ غرشاً سنة ١٩١٢ اما في اميركا واستراليا فزيدت اجور العمال ومع ذلك هبطت نفقات استخراج الفحم ولو قليلاً فكانت في استراليا مثلاً ٤٥ غرشاً للطن سنة ١٨٨٦ فصارت ٣٧ غرشاً سنة ١٩١٢

وكانت انكلترا سابقة المانيا في استخراج الحديد وعمل الفولاذ منذ خمسين سنة فسبقتها المانيا الآن في الاثنين كما ترى من هذا الجدول

		سنة ١٨٦٥	سنة ١٩١٠
المستخرج من الحديد	في انكلترا	٤٨٩٦٠٠٠ طنًّا	١٠٣٨٠٠٠٠ طنًّا
	في المانيا	٩٧٥٠٠٠ «	١٤٧١٣٠٠٠ «
المصنوع من الفولاذ	في انكلترا	٢٢٥٠٠٠ «	١٠٠٠٠٠٠ «
	في المانيا	٦١٠٧٠٠٠ «	١٣٦٩٩٠٠٠ «

مع ان استخراج الحديد وعمل الفولاذ اسهل في انكلترا منهُ في المانيا

وكما تأخرت الصناعة في انكلترا بسبب الغنى ورخاء المعيشة تأخرت الزراعة كما يظهر من المقابلة بين زراعتها وزراعة المانيا فان مساحة الاراضي الزراعية في انكلترا نحو ٤٧ مليون فدان وفي المانيا نحو ٧٨ مليون فدان ومع ذلك فقد بلغت غلة القمح والراي سنة ١٩١٢ في انكلترا ١٥٦٨٧٠٠ طن وفي المانيا ١٥٩٥٨٩٠٠٠ وغلة الشعير في انكلترا ١٣٢٤٠٠ طن وفي المانيا ٣٤٨٢٠٠٠ طن وغلة البطاطس في انكلترا ٥٧٢٦٣٤٢ طن وفي المانيا ٥٠٢٠٩٥٠٠ طن اي ان الارض الزراعية في انكلترا نحو ثلاثة اخماس الارض الزراعية في المانيا ومع ذلك فغلة انكلترا من القمح والراي عشر غلة المانيا ومن الشعير نحو ثلث غلة

المانيا ومن البطاطس نحو تسع غلتها . ويربي الالمان من المواشي اكثر جداً مما تقتضيه النسبة بين مواشي البلادين فعندهم من البقر مضاعف ما عند الانكليز ومن الخنازير اكثر من خمسة اضعاف ما عند الانكليز . والغنم اكثر في بلاد الانكليز منها في المانيا ولكن لا يعتنى بتسمينها كما يعتنى بتسمين الخنازير في المانيا

ومما يدل على اجتهاد الالمان واقتصادهم الاموال التي اودعوها بنوك الاقتصاد قبل نشوب الحرب فقد كانت هذه الاموال في انكلترا والمانيا واميركا كما ترى في هذا الجدول

السنة	في انكلترا	في المانيا	في اميركا
١٨٨٠	٧٧٧٢١٠٠٠ جنيه	١٣٠٦٩٠٠٠٠ جنيه	١٦٣٨٢١٠٠٠ جنيه
١٩٠٠	١٨٦٠٦٠٠٠ »	٤٤١٩٢٩٠٠٠ »	٤٧٧٩٤٤٠٠٠ »
١٩١٢	٢٣٥٩١٦٠٠٠ »	٩٣٠٩٩٠٠٠٠ »	٩٤٥٤٨١٠٠٠ »

فزادت هذه الاموال في انكلترا ١٦٠ مليون جنيه بين سنة ١٨٨٠ و١٩١٢ ولكنها زادت في كل من المانيا واميركا ٨٠٠ مليون جنيه اي ستة اضعاف ما زادتهُ في انكلترا

والظاهر ان هذه الحقائق ستنهض همة الانكليز وتضطرهم نفقات الحرب الحاضرة ليعودوا الى سالف عهدهم من الاجتهاد والاقتصاد فيسترجعوا في سنوات قليلة ما انفقوهُ عليها ولو لم يأخذوا شيئاً من الغرامة الحربية

وسيكون تأثير الحرب في فرنسا وروسيا والمانيا والنمسا من حيث دفع الشعب الى الاقتصاد والاجتهاد مثل تأثيرها في الشعب الانكليزي اي ان اكثر سكان اوربا سيصيرون خيل رهان في ميدان العمل فماذا يكون حالنا حينئذٍ نحن الشرقيين في هذا المعترك دل مجاري اهل الاقتصاد والاجتهاد او نمسي طعمة لكل آكل

لما ضربت الضائقة المالية اطنابها عندنا منذ سنة من الزمان جعل الناس يقتصدون في نفقاتهم حتى كادت مخازن البضائع الاوربية تقفل لقلة ما يباع منها . ولكن لم تنقضِ بضعة اشهر بعد ذلك حتى اخذت اموال الجيش البريطاني تنتشر في البلاد وتلتها الاموال من ثمن القطن فعاد كثيرون الى الاسراف الذي اعتادوهُ . والآن تكاد المخازن المشار اليها آنفاً تغص بالمترددين عليها وزاد دخل الجمارك سنة ١٩١٥ مع انها ستة حرب على دخلها سنة ١٩١٤ مع ان سبعة اشهر منها كانت سلماً . والمرء لا يعتبر الاَّ اذا مسَّهُ الضرُّ